﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝٤٢﴾ [الحجر: 42]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

منتهى تزيين الشَّيطانِ التَّحريضُ، فمنِ اتَّبعَ الشَّيطانَ؛ فإنَّما يتَّبعُه باختيارِه

لَمّا قالَ إبليسُ: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾؛ جاءت هذه الآيةُ تصديقًا لمضمونِ استثناء إبليسَ، أو تكذيبًا له في زعمِه أنَّ له القدرةَ على إغواء عباد الله المخلصين، فإنَّه لمّا أَوْهَمَ كلامُ إبليسَ أنَّ لَهُ سُلْطانًا عَلَى عِبادِ الله الَّذينَ يَكونونَ مِنَ الْمُخْلَصِينَ؛ بَيَّنَ تَعالَى في هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى أَحَدٍ مِنْ عِبادِ الله سَواءٌ كانوا مُخْلِصِينَ أم لَمْ يَكونوا مُخْلِصِينَ، بَلْ مَنِ اتَّبَعَ مِنْهُمْ إبْلِيسَ باخْتِيارِهِ؛ صارَ مُتَّبِعًا لَهُ، وَلَكِنَّ حُصولَ تِلْكَ الْمُتابَعَةِ أَيْضًا لَيْسَ لِأَجْلِ أَنَّ إبْلِيسَ يَقْهَرُهُ عَلَى تِلْكَ الْمُتابَعَةِ أَوْ يُجْبِرُهُ عَلَيْها، فإنَّ منتهى تزيينه التَّحريضُ والتَّدليسُ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: 22][1].

وأيضًا لمّا كان اسم الإشارة ﴿هَٰذَا﴾ يعود إلى المفهوم من قولِه: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾؛ جاءت هذه الآية على معنى البيان لِلمرادِ من اسم الإشارة، أو يقال: لمّا جاء الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾، وعاد اسم الإشارة إلى مضمونِه - كما تقدَّم في تنوُّع توجيه مرجعِ اسم الإشارة - جاءت هذه الآية على معنى البيانِ والتقريرِ لمفهوم تخليص الله تعالى عبادَه من تأثير إغواء إبليس.

وأيضًا لمّا أخبر الله تعالى في سياق حكايةِ قولِ إبليس أنَّه لا

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/145، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/216.

يستطيع إغواء العباد الذين أخلصَهم اللّه للخيرِ وللطّاعةِ؛ جاءت هذه الآيةُ لإفادةِ نفيِ سلطانِه عليهم، وأنَّه إنَّما استثنى عباده من إغوائه؛ لأنَّه ليس له سلطانٌ عليهم[1].

۞ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡغَاوِينَ﴾: أصلُ (غوي): يَدُلُّ على خِلافِ الرُّشْدِ وإظْلامِ الأمْرِ[2]. والغواية الانجذاب إلى شيء فاسد[3]. والغَواية: الضَّلال واتِّباع الهوى والانهماك في الباطل، ورجلٌ غاوٍ وغوٍ وغَوِيٌّ وغيّان: ضالٌّ، وأغْواه هوَ، وغوى غيًّا: انهمك في الجَهل. وخلافُهُ: الرُّشد[4]. والغَيُّ: جهْلٌ من اعتقاد فاسد[5]. والمقصود بالإغواءِ في الآية: المُتَّصِفُ بالغَيِّ، والغَوايةُ، وهي الضَّلالةُ الشَّديدةُ.

۞ المَعنى الإجْماليُّ:

بيان طبيعة البشَر وطبيعة الشَّيطان واستعدادهما واختيارهما في أعمالهما

قال اللّهُ لإبليسَ: إنَّ عبادي المؤمنينَ الموحِّدينَ الَّذين هديتُهم، ليس لكَ عليهم حُجَّةٌ وتسَلُّطٌ على قلوبِهم، لكنْ مَن اتَّبَعَك من النّاسِ فرَضِيَ بولايتِك وطاعتِك، ومالَ إلى ما تدعو إليه من الضَّلالاتِ؛ فلك عليه تسَلُّطٌ[6].

وفي الآية دَلالةٌ على أنَّ كلَّ مَن لم يعبدِ اللّهَ وحدَه، فلا بُدَّ أن يكونَ عابدًا لغَيرِه، فيكون مُشرِكًا، وليس في بني آدمَ قِسمٌ ثالثٌ، بل إمّا موَحِّدٌ، وإمّا مُشرِكٌ، أو مَن خَلطَ هذا بهذا، كالمُبَدِّلينَ من أهلِ المِلَلِ: النَّصارى، ومَن أشبَهَهم من الضُّلّالِ المنتسبينَ إلى الإسلامِ[7].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/51.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غوي).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (غوي).
(4) الخليل، العين، وابن عباد، المحيط في اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (غوي).
(5) الراغب، المفردات: (غوي).
(6) ابن جرير، جامع البيان: 14/71، وابن عطية، المحرر الوجيز: 3/362، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/28، 29.
(7) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: 14/282.

وإنَّ مَن لم يحقِّقْ عُبوديَّةَ الرَّحمنِ وطاعتَه، فإنَّه يَعبُدُ الشَّيطانَ بطاعتِه له، ولم يَخلُصْ مِن عبادةِ الشَّيطانِ إلّا من أخلصَ عُبوديَّةَ الرَّحمنِ.

الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغة التعبير في قولِه: ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾:

عبوديَّة المحبَّة واتِّباع الأوامر هي عبوديَّة التَّشريفِ والتَّكريم

تحتمل هذه الجملة الخبريَّة - في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾ - أن تكونَ بيانًا لاسم الإشارة في قولِه تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ﴾ - كما تقدَّم - ففيها معنى التقريرِ لإبليسَ فيما استثناه، ولهذا اختير طريقُ الفصلِ لما فيها من معنى التأكيدِ[1]، كما تحتمل أن تكونَ استئنافًا بيانيًّا، فإنَّه لمّا عاد اسمُ الإشارة إلى مضمونِ الاستثناء في قولِه: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾، فكأنَّ سائلًا سأل: جعلَ اللّه سنَّتَه ثابتةً في تخليصِ عبادِه من إبليس، فهل لإبليس أيُّ سلطانٍ على عباد اللّه المخلصين؟ فأجيب بطريق الخطابِ لإبليسَ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾، للإيذانِ بتشريف عبوديَّة المحبَّة والطّاعة وتكريمها.

بلاغة تغيير الوضعِ في الإخبار:

تشريفُ عباد اللهِ المخلَصين وتعظيمُ قدرِهم عندَ الله

لمّا أقسم إبليسُ أنَّه سيجتهد في إغواء بني آدمَ؛ استثنى عبادَ اللّه المخلصين، فكان المستثنى منه هم الذين يغويهم، والمستثنى هم عبادُ اللّه، فغُيِّرَ ترتيب تأليف الكلامِ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾؛ ليكون بالعكس، لتعظيمِ قدرِ عباده عندَه وتشريفِهم؛ إذ جعلَهم هم الأصل لكونِهم متبوعين محكومًا عليهم بانتفاء سلطانِه عليهم، ولأنَّ المقصود بيان عصمتهم وانقطاع كيدِ

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/213، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي11/161.

الشيطان عنهم، بخلافِ ما جاء في حكايةِ قولِ إبليسَ واستثنائه، فإنَّ المقصود فيه بيان فعله بالتَّزيين والإغواء[1].

فائدة ذِكرِ ﴿إِنَّ﴾ في قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى﴾:

انتفاء إغواء إبليس ليسَ بسببِ استثنائِه، وإنَّما لأنَّ الله أرادَه وقدَّرَه

تفيد ﴿إِنَّ﴾ تأكيدَ مضمونِ الخبر وتقريرَه، فإنَّ إبليسَ اللَّعينَ لمّا استثنى عبادَ الله تعالى من إغوائِه؛ جاء التَّأكيدُ ليؤذِنَ أنَّ انتفاء إغوائِه لعبادِ الله تعالى المخلصين ليس بسببِ استثنائِه، وإنَّما لأنَّ الله تعالى أرادَ هذا، وقدَّرَه، وقرَّرَه.

دلالة لفظ ﴿عِبَادِى﴾:

العبوديَّة تحتمل العبوديَّة الخاصَّة وتحتمل العبوديَّة العامَّة

يحتمل أن يكونَ المرادُ من ﴿عِبَادِى﴾ المؤمنين خاصَّةً، ويكون المرادُ منهم عبادَه الطائعين المحِبّين، ويحتمل الاستثناء الاتِّصال والانقطاع - كما سيأتي في دلالة الاستثناء - ويؤيِّده أنَّ الآية تحقيقٌ لمضمونِ الاستثناء في قولِه تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾[2]، ويحتمل أن يكون اللفظ واقعًا على جميع العبادِ مؤمنهم وكافرهم، ليكونَ المرادُ عبوديَّة أهلِ السمواتِ والأرضِ، فيكون المستثنى هو الكافر، والمعنى: إنَّ تسليطَه لا يكونُ إلّا على من اتَّبعه من الغاوين، ويؤيِّده قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكٍّۗ﴾ [سبأ: 21] أي: ما كان تسليطنا إياه إلا لنعلم المؤمنين من الشاكِّين، أي: إلّا لنعلم إيمانَ المؤمن ظاهرًا، وكفْرَ الكافر ظاهرًا[3].

نكتة التَّعبير بلفظ ﴿عِبَادِى﴾:

الخلق كلُّهم عبيد ربوبيَّة الله، وأهل طاعته وولايته هم عبيد إلهيَّة

كان الظّاهر أن يقال: (إنَّ المخلصين لي ليس لكَ عليهم سلطان)، لأنَّ المستثنى ﴿عِبَادَكَ﴾ في قولِه تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/213، والشهاب، عناية القاضي: 5/514، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/161.

(2) السمعاني، تفسير السمعاني: 3/140.

(3) أبو أحمد القصاب، النكت الدالة: 2/177، والواحدي، التفسير الوسيط: 3/493.

﴿مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ هو باعتبار قيد الصِّفةِ، فهي ملحوظةٌ في قَوْلِه تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾، لكن عُدِل إلى ﴿عِبَادِي﴾ بطريق الإضافة، لما في الإضافة من معنى الاختصاص والتشريف والتكريم، وللإشعارِ بعبوديَّتهم للّه في طاعتِه واتِّباع أوامره.

فائدة الإضافة في قولِه: ﴿عِبَادِي﴾:

عبادُ الله المقرَّبون لا يتسلَّط عليهم إبليسُ، ولا تقوم له عليهم حجَّةٌ

لمّا أضاف اللّه تعالى عبادَه المخلصين إلى نفسِه؛ كانت الإضافةُ على معنى اللّام التي للاختصاصِ؛ لتفيدَ الإضافةُ تشريفَهم وتكريمهم وتعظيمهم وبيانَ عصمتِهم وحفظِهم، وانقطاعَ مخالب الشيطان عنهم، فعباد اللّه لا يتسلط عليهم إبليسُ، ولا تقوم له عليهم حجة[1].

فائدة النَّفي بـ﴿لَيۡسَ﴾:

إفادة استمرار نفي سلطان إبليس عليهم

لما كان ﴿لَيۡسَ﴾ فعلًا جامدًا يبقى على حالة واحدة؛ ناسب أن يستعمل في الحالة الباقية الدائمة التي لا تتغيَّر، والسُّنَّة الثابتة التي لا تتبدَّل مثل ﴿لَيۡسَ﴾، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾، وهي تُفيد استمرارَ نفي تسلُّط إبليس على عباد اللّه المخلصين.

فائدة تقديم ﴿لَكَ﴾:

تأكيد نفي تسلُّط إبليس على عباد الله المخلصين، وقصر ذلك عليهم

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾، قدِّمَ الجار والمجرور ﴿لَكَ﴾ المتعلِّق بـ﴿سُلۡطَٰنٌ﴾ ليفيدَ التَّأكيدَ، بمعنى تأكيدِ نفي أن يكون لإبليسَ سلطانٌ على عبادِ اللّه، ولِيَدُلَّ على قصر ذلك عليهم، أي: الذين ليس لك سلطان عليهم هم عبادي وحدهم، لا غيرهم.

فائدة تقديم ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ على ﴿سُلۡطَٰنٌ﴾:

في قولِه تعالى: ﴿لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾، أفادَ تقديمُ ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/213، وأبو حيان، البحر المحيط: 6/478، وابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/202، وابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 11/161.

عباد الله مختصّون من بين سائر الناس بعدم تسلُّط إبليس عليهم

على ﴿سُلۡطَٰنٌ﴾ التَّخصيصَ، والمعنى: تخصيصُ نفي أن يكون لإبليس أيُّ سلطانٍ على عبادِ اللّه، مع تأكيدِ هذا التَّخصيصِ، أي: هم مختصّون من بين سائر الناس بذلك الحكم.

ليس للشَّيطانِ حجَّةٌ على عبادِ الله، وليس له قوة القهر على اتِّباعِهم له

نكتة التعبير بلفظ ﴿سُلۡطَٰنٌ﴾:

لمّا كانَ لفظ ﴿سُلۡطَٰنٌ﴾ بمعنى الحجَّة المتسلِّطة والبرهان القوي؛ أفادَ التَّعبير به أنَّ إبليس ليس له حجَّةٌ متسلِّطةٌ ولا برهانٌ قويٌّ في إغوائهم ودعائِهم إلى الشِّرك والضَّلال، فليس له إلّا التَّزيين، فلا يستطيع إغواءَهم ولا التأثيرَ فيهم إلا بالتزيين، ليفيدَ التَّعبير أنَّ عباد اللّه المؤمنين إنَّما يتَّبعون أمرَ اللّه بحججه وبراهينِه؛ فلا يتَّبعون الشيطان بأمانيِّه التي يمنيِّهم، وشبهاته التي يُلبِس بها عليهم، ويحتمل أن يكون السلطان بمعنى القدرة والقهر والإلجاء، أي: ليس له قدرة القهر بأن يحملهم على العصيان، ويضطرَّهم لفعلِه[1]، ولا مانعَ من حمل اللفظ على المعنيين، بل هو أولى لتكثير المعنى.

لا يلقي الشَّيطانُ عبادَ الله في ذنبٍ إلّا وتزيلُه التَّوبةُ وتمحوه الأوبةُ

سبب إيثار مجيء ﴿سُلۡطَٰنٌ﴾ نكرةً:

لمّا كانت النَّكرة في سياق النَّفي تفيد العمومَ، وكان لفظ السُّلطان يأتي بمعنى الحجَّة والبرهانِ، وبمعنى القدرةِ والقهرِ؛ أفادَ التَّعبير نفيَ أيِّ سلطانٍ لإبليس على عبادِ اللّه، فدلَّ الكلامُ على نفي أيِّ حجَّةٍ أو قدرةٍ عليهم، ويدخل في النَّفي قدرته على إغوائِهم أو التأثيرِ فيهم دخولًا أوَّليًّا، أي: لمّا أوهمَ إبليسُ أنَّ لَهُ عَلَى بَعْضِ عِبادِ اللّه سُلْطانًا حينَ قال: ﴿وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾؛ بَيَّنَ اللّه تَعالَى كَذِبَهُ فِيه، وَذَكَرَ أَنَّهُ لَيۡسَ لَهُ عَلَى أَحَدٍ مِنۡهُمۡ سُلۡطانٌ وَلا قُدۡرَةٌ أَصۡلًا، أي: لَيۡسَ لَهُ سُلۡطانٌ عَلَى قُلوبِهِمۡ، وَلا مَوۡضِعِ

(1) الواحدي، التفسير البسيط: 12/608، والماتريدي، تأويلات أهل السنة: 6/443، وابن عطية، المحرر الوجيز: 3/362.

إيمانِهِمْ، وَلا يلقيهم في ذنب يؤول إِلَى عَدَمِ الْقَبولِ، بَلْ تُزِيلُهُ التَّوْبَةُ، وَتَمْحوهُ الْأَوْبَةُ[1].

بلاغة مجيء الخبرِ جملةً اسميَّةً:

ثبوتُ انتفاء أن يكون لإبليس سلطانٌ على عبادِ الله

لمّا جاءَ الخبرُ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ جملةً اسميَّةً؛ أفادَ الخبرُ تقوّي الحكم وثبوتَه، ولو قال: (ليس لك على عبادي سلطانٌ)؛ لَما كانَ الإخبارُ بقوَّةِ مجيء المبتدأ أوَّلًا، ثمَّ الإخبارِ عنه بالجملة الاسميَّة المنفيَّة ثانيًا، لِما فيه من معنى الحصرِ الذي قوّاه وجودُ الحصرِ في جملة الخبر كما تقدَّم.

فائدة التقديم في قولِه: ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾:

تأكيد نفي عموم تسلط إبليس على عباد الله المخلصين وحدهم

اجتمعت في هذه الجملة أدلة كثيرة على إفادة العموم، وهي: الجمع المضاف إلى ضمير يعود إلى الله تعالى ﴿عِبَادِى﴾، والنكرة في سياق النفي: ﴿سُلْطَٰنٌ﴾، وتقديم الجار والمجرور المتعلق بالخبر المحذوف والدال عليه، وتقديم الجار والمجرور المتعلِّق بـ﴿سُلْطَٰنٌ﴾، وهذا التقديم يفيد الحصر مع إفادته العموم، واحتمال أن يكون كلٌّ من الجار والمجرور في ﴿لَكَ﴾ و﴿عَلَيْهِمْ﴾ هو المتعلِّق بالخبر المحذوف، وأن يكون هو المتعلِّق بالمبتدأ ﴿سُلْطَٰنٌ﴾، أي: ليس عليهم سلطان كائن لك، أو: ليس لك سلطان كائن عليهم، وبذلك تدل العبارة الوجيزة على المعاني الكثيرة، ويتأكد عموم نفي تسلط الشيطان دون غيره ﴿لَكَ﴾ وحدك، ونفي تسلطه على عباد الله دون غيرهم، ﴿عَلَيْهِمْ﴾ وحدهم، ونفي سائر أنواع التسلط بكافَّة أشكالها وألوانها: ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾، مع الإشارة إلى تَسَفُّلِ الشيطان وحقارته، بما يدلُّ عليه نفي العلو الدال عليه كلمة ﴿عَلَيْهِمْ﴾، مع النفي بكلمة ﴿لَيْسَ﴾.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/145، والقرطبي، الجامع لأحكامِ القرآن: 10/29.

تنوُّع دلالة الاستثناء مع صحَّة المعنى واستقامتِه

دلالة الاستثناء في قولِه: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾:

يحتمل أن يكون الاستثناء منقطعًا، وتكون ﴿إِلَّا﴾ بمعنى (لكن) ليفيد أنَّ المقصودَ بمن يتَّبع إبليس من الغاوين هم الكفّارُ خاصَّةً، أي: إنَّ مَنِ اتَّبَعَهُ لَمْ يَنْدَرِجْ في قَوْلِهِ: ﴿عِبَادِي﴾، لِقَوْلِهِ تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ٦٥﴾ [الإسراء: 65]، وَلَوْ كانَ مُتَّصِلًا؛ لاسْتَثْناهُمْ، فَلَمّا لَمْ يَسْتَثْنِهِمْ؛ دَلَّ عَلَى أنَّهُمْ لَمْ يَدْخُلوا، فيكون منتهى تزيينه لعبادِ اللّه المخلصين التحريضُ والتَّدليسُ، كما قال: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: 22]، وفائدة سَوْقِ الكلامِ بصورة الاستثناء - مع أنَّه على معنى الانقطاع - الترغيب في رتبة التشرُّف بالإضافة إليه والرجوع عن اتِّباع العدو إبليسَ إلى الإقبال عليه، ويحتمل أن يكون الاستثناء متَّصلًا؛ ليفيدَ أنَّ قليلًا من المؤمنين يتَّبع إبليس، وإذا كان المرادُ من لفظ ﴿عِبَادِي﴾ جميعَ العبادِ يكون الاستثناء حقيقيًّا متَّصلًا، ويكون المرادُ نفيَ سلطانِه عن جميع العبادِ باستثناء من اتَّبعه من الغاوين، أي: فالمراد من المستثنى الكافرُ خاصَّةً - كما تقدَّم[1] - ويحتمل أن يكون الاستثناء حقيقيًّا متَّصلًا أيضًا، ويكون اتباع بعض عباد اللّه المخلصين للشيطان في المعاصي التي هي دون الكفر أحيانًا، وليس دائمًا، فلا يخرجون بذلك عن كونهم عباده سبحانه، فهم يوصفون بالغواية وقت المعصية فقط.

من يتَّبع الشَّيطانَ ذليلٌ صاغرٌ

دلالة الاسم الموصول في قولِه: ﴿مَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾:

عَبَّرَ بالاسم الموصول المشترك الذي أراد به المفردَ، بدلالة عودِ الضَّمير عليه مفردًا في ﴿ٱتَّبَعَكَ﴾؛ لِيُشْعِرَ بذلَّة من يتَّبع إبليس في كونِه منفردًا ذليلًا ليس له ناصرٌ، على عكس التَّعبير في قولِه: ﴿عِبَادِي﴾ المفيد معنى الاجتماعِ على عبادة اللّه والإخلاصِ للّه.

---

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/212، وأبو حيان، البحر المحيط: 6/478، والبقاعي، نظم الدرر: 11/60، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/53.

فائدةُ التَّعبير بصيغة الماضي ﴿ٱتَّبَعَكَ﴾:

لَمّا كان المرادُ أنَّ من يتَّبع إبليس، يتسلَّط عليه؛ كان التَّعبير بصيغة الماضي المفيد تحقُّقَ الوقوع مؤذِنًا بأنَّ من يتعمَّد اتِّباعَه ويرغب فيه يتسلَّط عليه الشيطان، فيتَّبعه لا محالةَ[1].

مَنْ يتعمَّدُ اتِّباعَ الشَّيطانِ، ويرغب فيه؛ يتسلَّط عليه الشيطان لا محالةَ

نكتة التَّعبير بلفظ ﴿ٱتَّبَعَكَ﴾:

عَبَّرَ بلفظ ﴿ٱتَّبَعَكَ﴾؛ لِما يفيدُه من معنى اقتفاء أثرِ إبليسَ واللُّحوق به بحيث يتلوه، ويقفوه في إغوائِه والائتمارِ بأوامرِه، ليكونَ موافقًا له، وكأنَّه ناصرٌ له، فيفيدُ اللَّفظُ أنَّ إبليسَ قد سبقَهم إلى الغوايةِ، وأنَّ من يتَّبعُه؛ يقتفي أثرَه فيها[2].

اتِّباعُ إبليس باقتفاء أثره في المعصيةِ والغوايةِ

بلاغة الموصول وصلتِه في قولِه: ﴿مَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾:

عُبِّرَ بالاسم الموصول وصلتِه، لبيان أنَّ إغواءَ إبليسَ للغاوين ليس بسببِ السلطان بمعنى القهر والجبر، بل بسببِ اتِّباعهم له بسوء اختيارهم، فيتسلط عليهم بالوسوسة والتزيين، فأعلمَ أنَّ من اتَّبعه فإنَّما هو مسلَّط عليه بهذا الفهم[3].

اتِّباعُ إبليس باختيار الغاوين، وليس له قوَّة القهر عليهم لاتِّباعِهِ

فائدة ﴿مِنَ﴾ في قولِه: ﴿مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾:

حرف الجرِّ ﴿مِنَ﴾ لِبَيانِ الجِنْسِ، أي: من جنسِ الغاوين، ففيه مبالغة في الذمِّ[4].

المبالغةُ في ذمِّ المنحرفين عن الصِّراطِ المستقيم

دلالة قولِه: ﴿مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾:

لَمّا جاء الجار والمجرور في موضعِ نصبٍ على الحال من الضَّمير المستتر في ﴿ٱتَّبَعَكَ﴾؛ دلَّ على اقترانِ الغواية به في حالِ اتِّباعِه إبليس، ليشعرَ بأنَّ من يتَّبعُه مناسبٌ له ومتناغم معه في الغواية والبُعدِ[5].

مناسبةُ الغاوين لإبليسَ في الغوايةِ والبعدِ عن الله تعالى

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11/60.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، والزمخشري، أساس البلاغة: (تبع).
(3) البروسوي، روح البيان: 4/469.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 6/479.
(5) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/299.

المستعدّون للغواية العازمون عليها متهيِّئونَ لتسلُّط الشيطانِ عليهم

دلالة اسم الفاعل ﴿ٱلۡغَاوِينَ﴾:

لَمّا أفهمَ الكلامُ أنَّ سُلْطانَ الشَّيْطانِ لا يكون إلّا عَلَى مَنْ كانَ غاوِيًا، ولَوْ كانَ غاوِيًا بِالْفِعْلِ؛ لَمْ يَكُنْ لِسُلْطانِ الشَّيْطانِ عَلَيْهِ فائِدَةٌ؛ دلَّ على أنَّ المرادَ من زمن اسم الفاعل ﴿ٱلۡغَاوِينَ﴾ المستقبل، فهو مِنْ بابِ إطْلاقِ اسْمِ الْفاعِلِ عَلَى الْحُصولِ في الْمُسْتَقْبَلِ بِالْقَرِينَةِ، فأفادَ أنَّ ثمَّةَ وَصْفًا بالغواية هو التهيُّؤ لِتَسَلُّطِ الشَّيْطانِ عَلَى مَوْصوفِهِ، وَذَلِكَ هوَ الْمَوْصوفُ بِالْغَوايَةِ بِالْقوَّةِ لا بِالْفِعْلِ، أيْ: بِالِاسْتِعْدادِ لِلْغَوايَةِ لا بِوُقوعِها[1].

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/52.